سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

العمل لليوم الآخر

للشّيخ إبراهيم بن عامر الرحيلي

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونيَّة (٢)

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبينا محمد عبده ورسوله.

اللّهمَّ صلِّ وسلم وبارك وأنعم علىٰ عبدك ورسولك محمد، وعلىٰ من اهتدىٰ بهديه واستن بسنته علىٰ يوم الدين.

أمَّا بعد؛ فأرحِّب بالإخوة في هٰذا البلد الطيب المبارك وفي هذه الأيام الفاضلة الشَّريفة، وأسأل الله ﷻ أن يتقبَّل منَّا ومنكم، وأن يكتب لنا ولكم أعظم الأجر والمثوبة في هٰذه الليالي الفاضلة المباركة.

ثم إن كان من كلمة ونصيحة أشارك من سبقني من المشايخ فيها هو وصيتي لنفسي أولًا ولكم بتقوىٰ الله ﷻ وأن نتقي الله ﷻ ونقدِّم من الأعمال ما هو سبب لحصول النَّجاة، فإن العبد مُطالب بتحقيق النَّجاة لنفسه قبل النَّظر في غيره وقبل الاشتغال بأمور أخرىٰ.

والله ﷻ خلق الخلق كله من الإنس والجنِّ وسائر المخلوقات خلقها لحكمة يعلمها، ولم يخلقهم عبثًا، وقد بيَّن لنا الحكمة من خلق الإنس والجنِّ فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، إذًا الحكمة من خلق الإنس والجن هي تحقيق عبادة الله ﷻ، فمن حقَّق هذا الهدف وحقَّق عبادة الله ﷻ بشروطها المعروفة الشَّرعية؛ فقد حقَّق الحكمة والهدف من خلقه، ومن خرج عن ذلك فإنه معرَّض للعقوبة والوعيد.

ثم إنّ الله ﷻ تعبَّدنا بكثير من العبادات، وهي تنقسم بالنَّظر إلىٰ فرضيتها من عدمها إلىٰ: فرائض ونوافل، وبيَّن الله ﷻ في الحديث القدسي الذي يرويه النَّبيُّ ﷺ عن ربه، وقد خرَّجه البخاري: «**ما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه**» ثم قال: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها**» ...إلخ، فبيَّن الله ﷻ أنَّ العبد لا يتقرَّب إليه بمثل أداء ما افترض عليه من الواجبات.

ونحن-أيها الإخوة- في المنهج (منهج أهل السنة والجماعة) نسير علىٰ منهج واضح وجلي، ويكثر الاختلاف والتَّفرق اليوم بين النَّاس في هٰذا المنهج، ويتخبطون فيه تخبطًا عظيمًا، وأنتم تسمعون وترون كل يوم يخرج مخالفون عن هٰذا المنهج، وكلٌّ يدعو لما عنده أو ما يظن أنه من دين الله ﷻ، والخطأ يحصل عند النَّاس بسببين: إما للهوىٰ أو بالجهل.

فالهوىٰ ناتج عن مرض في النُّفوس وضعف في اليقين، والجهل ضعف في العلم والبصيرة، ولذا من حقَّق العلم الصَّحيح الشَّرعي وكان عنده من المراقبة وتقوىٰ الله ﷻ فإنه لا يبتدع ولا يمكن أن يخرج عن المنهج.

المقصود أن تخبُّط النَّاس في هٰذا الأمر يرجع إلا أسباب: منها الجهل بدين الله ﷻ؛ فإن الجهل سببه الابتداع والخروج، وكثيرًا ما يُخذل النَّاس بالانحراف-والعياذ بالله- عن دين الله بعد الاستقامة عليه بسبب أيضا الانحراف عن المنهج في العلم أو العمل، ومن أسَّس بنيانه علىٰ أساس صحيح من دين الله ﷻ فإنه -بإذن الله- معصوم؛ فإن الله ﷻ قال في الحديث القدسي: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتىٰ أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به**» وهٰذه هي العصمة من الله ﷻ العصمة ثمرة لعمل: أولًا: التَّقرب إلىٰ الله ﷻ بالفرائض، ثم التَّدرج في النَّوافل.

والفرائض منها ما يتعلَّق بالأعمال البدنية، ومنها ما يتعلَّق بالأعمال القلبية، ومنها ما يتعلَّق بالعلم.

حقيقةً من يتأمل حال الأمة اليوم، حال كثير من الشباب يجد انحراف كبير جدًّا في المنهج، فإن كثير من الناس اليوم ينشغلون بالنَّوافل عن الواجبات، سواء في باب العمل أو باب العلم، ونحن نرىٰ اليوم الشَّباب ما يكاد يلتزم الشَّاب حتىٰ يبدأ أول ما يبدأ به بالقراءة في كتب المبتدعة وكيف يردُّ عليهم، ويقتني هذه الكتب ويشتغل بها، وهٰذا أمر مقرَّر عند أهل العلم أن الرَّدَّ علىٰ المبتدعة ومجاهدتهم-وهو أصل عظيم في باب الاعتقاد-مطلوب؛ لكنه من فروض الكفايات التي لا يقوم بها إلا العلماء؛ بل ليس كل العلماء، وإنما العلماء المتمكِّنين في هٰذا الباب، الذين يستطيعون الرَّدَّ، أما غيرهم من الأمة فليس من المنهج وليس من دين الله أن تشتغل بتناقل أخبار المبتدعة وكتبهم ومناظراتهم، وما الذي حصل منهم، كما يشتغل به كثير من الشَّباب اليوم، خصوصًا في هذه الليالي والأيام الفاضلة، لا يكاد يكون حديث الشَّباب إلا عن هذه الأمور، نحن لا نقلل من هذا الأمر؛ لكن ينبغي أن نسير علىٰ منهج واضح، هذا باب

عظيم ولا ينكره أحد-وينبغي أن ينزَّل الكلام علىٰ مقصود المتكلم وما يريد، لا نأخذ طرف من الكلام- الرد علىٰ المبتدعة أصل عظيم مقرَّر؛ لكنه من باب فروض الكافيات، وهذا لا ينكره أحد من طلاب العلم، وليس علىٰ الأمة أن تشتغل بالرد علىٰ المبتدعة كلها؛ بل لا يشتغل بهذا الأمر إلا القادر عليه.

إذًا هذا مثال حقيقة للانصراف عن المنهج في باب العلم، فالمسلم مطالب بتحقيق النَّجاة أولًا لنفسه، هو مطالب بتحقيق النَّجاة لنفسه أولًا علمًا وعملًا، فهو مطالب بأن يتعلم العلم الذي تتحقَّق به الواجبات، فإذا عرفه: عرف أحكام الطَّهارة، وعرف أحكام الصَّلاة، وعرف أحكام الصَّوم، وعرف أحكام الزَّكاة، وحقَّق هذه الأركان علمًا ثم عملًا، فهو علىٰ خير، ثم بعد ذلك يتدرج في النَّوافل، ولا يكون انشغالنا بأي أمر: لا بجهاد ولا بالرد علىٰ المبتدعة ولا بأمر، لا يكون انشغالنا بشيء عن هذا العمل الواجب الذي افترضه الله ﷻ علينا.

فقد كان السَّلف يذمُّون من يشتغل بالنوافل، وينصرف-أو يصرف بها كل وقته-عن الفرائض، وهذا يدل عليه الحديث القدسي: «**ما تقرَّب إليَّ عبدي بمثل أداء ما افترضته عليه**» وقد كان بعض السَّلف يذمّون من كان يقوم اللَّيل كله لله ﷻ وينام عن صلاة الفجر؛ لأنَّه أتىٰ بعمل فاضل ممدوح عليه وهو قيام اللَّيل وما فيه من الخير والفضل؛ لكنه مذموم إذا ترتَّب علىٰ قيامه بهذا العمل الذي هو من قبيل النَّوافل وفرَّط في واجب من الواجبات.

فالمقصود -أيها الإخوة- أن يراقب الإنسان نفسَه وأن يقف مع نفسه وقفة صدق، فو الله لا ينجينا أن نكون نحن من أهل السُّنة، ولا ينجِّينا أن نقول نحن سلفيين، ولا ينجينا أن يقال فلان مجاهد، فلان يشتغل بالرَّد علىٰ أهل البدع، فلان فيه وفيه، والله لا ينجي الإنسان إلا الصِّدق مع الله ﷻ، نصدق مع الله ﷻ، نحقِّق عبادة الله ﷻ، فإذا حقَّقنا عبادة الله ﷻ وأصلحنا أنفسنا وبقي عندنا من الوقت، وبقي عندنا من وفور الوقت ما نتعلم به ونشتغل للقادرين في الرَّد علىٰ المخالفين أو غيرها من أعمال البرِّ الأخرىٰ فنعم، أما أن نشتغل بهذه الأمور عن الواجبات فهذا ليس من دين الله ﷻ، ولهذا نرىٰ ما أكثر- والعياذ بالله-ما ينتكس كثير من الشَّباب بعد أن كان مستقيمًا علىٰ الطَّاعة، وسبب الانتكاس-لا شك- أنه أمر مقدَّر من الله ﷻ لكن الإنسان ما يُبتلىٰ إلا بنفسه، فدين الله ﷻ من سار فيه برفق ولين، فإن النَّبيَّ ﷺ أمر بالقصد في العبادة، وأخبر كما في الحديث أنه لن يدخل الجنة أحد بعمله، يقول الرَّسول

ﷺ: «**لن يدخل الجنة أحد بعمله؛ ولكن قاربوا وسددوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة**» وقد ألَّف الإمام المحقِّق ابن رجب رسالة عظيمة في شرح هذا الحديث وسماها «المحجة في سير الدلجة» بيَّن فيها المنهج في العبادة والتَّقرب إلىٰ الله ﷻ، وذكر أن أصحاب النَّبيِّ ﷺ ما نالوا ما نالوا من الخير إلا بتحقيقهم لهذا المنهج العظيم، وقال: ليس من منهج أصحاب النَّبيِّ ﷺ أنهم كانوا يكثرون من الأعمال البدنية، وإنما نالوا ما نالوا من الخير بسلامة صدورهم للمسلمين وبإخلاصهم لله ﷻ.

وحقيقة هذا الباب عظيم (يعني باب العبادات وما يتفرَّع منه) والفقه في دين الله ﷻ والسَّير إلىٰ الله ﷻ علىٰ خطىٰ ثابتة من دين الله ﷻ هذا باب عظيم، ولذا أخبر النَّبيُّ ﷺ كما في حديث معاوية: «**من يرد الله به خيرًا يفقِّهه في الدين**» الفقه في دين الله ﷻ باب عظيم من أبواب الخير، فإذا تفقَّه العبد في دين الله ﷻ فإنه يسير علىٰ خطىٰ صحيحة وثابتة، ويحصل له وعد الله ﷻ؛ «**لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبه**» فإذا أحبه الله ﷻ عصمه، وأصبح لا يكاد يتكلَّم أو يمشي في أمر إلا برضا الله ﷻ، وهذا كان هدي سلف الأمة، نالوا ما نالوا من الخير بالاستقامة علىٰ دين الله ﷻ وتخبُّط النَّاس اليوم بسبب انصرافهم عن هذا المنهج العظيم؛ وهو تقديم الواجبات في العلم والعمل، ثم التَّقرب إلىٰ الله ﷻ بالنَّوافل، ثم حتىٰ النَّوافل ليست علىٰ درجة واحدة، فهناك تفاوتٌ بينها، والنَّوافل تتفاوت تفاوت عظيمًا بحسب الأشخاص وما يحسنون، فهناك من النَّاس من يكون مهيأً للجهاد، فيكون أفضل الأعمال في حقه الجهاد، ومن النَّاس من يكون مهيأً للعلم، فيكون أفضل الأعمال في حقه العلم، ثم إن الإنسان نفسه تمر به أحوال: فقد يحسن يومًا من الأيام عملًا لا يحسنه في يوم آخر، وقد يحسن في ساعة من الأعمال مالا يحسنه في الساعة الأخرىٰ؛ ولذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عندما سئل: أيها أفضل: القراءة أم الصلاة أم الذكر، أم الدعاء؟ فبيَّن أنَّ المفاضلة بالنَّظر إلىٰ أصل هٰذه الأعمال أن الصَّلاة أفضل، ثم قراءة القرآن، ثم الذِّكر، ثم الدُّعاء، ثم قال بعد ذلك: لكنَّ العبد يأتي من هذه الأعمال ما يحسن، فإذا كان يتقن ووجد عنده حضور وانشراح للقراءة، وأدَّىٰ قراءة القرآن بخشوع وتدبُّر، في حين عجزه في تلك السَّاعة عن تحقيق الصَّلاة كاملة والخشوع فيها، فقد تكون القراءة في حقه أفضل، وهكذا، النَّاس يتفاوتون في الأعمال، والشَّخص نفسه تتفاوت أوقاته فيما يحسن من الأعمال، وهٰذا باب عظيم

أيضًا كان سلف الأمة يسيرون فيه علىٰ خطىٰ ثابتة بما أعطاهم الله ﷻ من الفقه والتَّفقه في دين الله ﷻ.

وحقيقة لا أريد التَّفريع في هذه المسائل لكن ينبغي أن يعلم أنَّ العبد في هذه الحياة له تعامل مع الخالق ومع المخلوقين، لا يتعامل إلا مع هذين الصَّنفين: خالق ومخلوق، ومن حقَّق ما أراد الله ﷻ منه في هذا الباب فقد حقَّق النَّجاة لنفسه، فتعامله مع الله ﷻ أن يحقِّق العبادة لله ﷻ وحده لا شريك له مخلصًا العبادة لله ﷻ، يعبد الله ﷻ بإخلاص، ثم هذه العبادة تكون علىٰ وفق ما شرع النَّبيُّ ﷺ لا يتعبد الله ﷻ بالبدع، وإنما يعبد الله ﷻ بما شرع نبيُّه ﷺ الذي أرسله الله لهذا القصد وهو التَّشريع لعباد الله ﷻ؛ ولذا قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ عمل صالح موافق للسُّنة ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ مخلصًا لله ﷻ؛ ولذا قال الله ﷻ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ﴾[هود:٧] قال الفضيل بن عياض رحمه الله عندما سئل: ما أفضل العمل؟ قال: (**أخلصه وأصوبه**)، فإذا حقَّق العبد عبادة الله ﷻ مخلصًا لله ﷻ، متَّبعًا لنبيه ﷺ فيما شرع؛ فقد حقَّق ما أراد الله ﷻ منه.

والإخلاص معروف لدىٰ الجميع؛ وهو أن يأتي بالعمل لا يريد به إلا وجه الله ﷻ، وقد كان سلف الأمة يقفون عند كل عمل يقومون به ويستحضرون فيه الإخلاص، فما أحوجنا والله نحن اليوم في هذه العصور كثرة الشَّهوات وكثرة الفتن وضَعْفُنَا في العلم والعمل وقصورنا أن نستحضر النِّية، والإنسان أكثر ما يُخذل يخذل من هذا الباب -والعياذ بالله- من عدم الإخلاص لله ﷻ فينبغي للعبد أن يقف عند كل عمل.

والمخلص المجتهد في تحقيق عبادة الله ﷻ مثاب إن شاء الله ويغفر الله ﷻ له الخطأ، وأمَّا إن لم يوجد الإخلاص فإن صاحب العمل معاقب -والعياذ بالله-، وليتصوّر أحدنا في عمل من الأعمال يؤديه لله ﷻ مخلصًا ما يرتفع به عند الله ﷻ من الدَّرجات وما يحصل -والعياذ بالله- ممن يؤدون هذا العمل نفسه، كيف ينحطُّ بهم -والعياذ بالله- بهم في دركات جهنم؛ لأنَّ الذي يأتي بالأعمال يظهر للنَّاس أنَّها لله ﷻ فهذا باب عظيم من أبواب النِّفاق، والمنافقون في الدَّركات السُّفلىٰ من النَّار، ويستحضر العبد أيضًا أنه لو قيل له في لحظة من اللحظات التي قد يضعف الإخلاص في نفسه، وقد يدخل عليه

الرِّياء أنه لو خُيِّر بينا الزِّنىٰ وشرب الخمر، وبين هذا الأمر ما الذي سيختار؟ فإنه بإجماع أهل العلم أنَّ الرَّجل لو زنىٰ أهون عليه في العقوبة عند الله ﷻ من الشِّرك الأصغر؛ لأنَّ الشِّرك الأصغر من باب الشِّرك، وهذه الكبائر من جنس المعاصي، وجنس الشِّرك أعظم من الكبائر، حتىٰ الشِّرك الأصغر، وهناك اختلاف كبير بين أهل العلم: هل الشِّرك الأصغر يخلّد صاحبه في النار أم لا؟

فالمقصود أنَّ الشِّرك وإن كان صغيرًا أعظم من الكبائر، ونحن نتورع، كثير منَّا -والحمد لله- يتورع عن صغائر الذُّنوب، لكن الشيطان يجرُّه إلىٰ الشِّرك وما هو أعظم من كبائر الذُّنوب.

فينبغي لنا -أيها الإخوة- أن نقف وقفة صدق والله مع أنفسنا، ونتضرع لله ﷻ فإنَّه لن يوفق للإخلاص إلا من أنطرح بين يدي الله ﷻ، وسأل الله ﷻ الثَّبات والإخلاص، ثم بعد ذلك نتفقه في دين الله ﷻ لا نعبد الله بالبدع وبالتَّقليد، وإنما نعبد الله بفقه، ننظر ما هي أحب الأعمال، أصحاب النَّبيِّ ﷺ يأتون للنبي ﷺ: دلَّني علىٰ عمل ينجيني الله به من النَّار، دلَّني علىٰ عمل يدخلني الجنَّة، يا رسول الله؛ ما أفضل الأعمال؟ دلني علىٰ عمل ينجيني من النَّار، أسئلة تلقىٰ علىٰ النَّبيِّ ﷺ، يقول حذيفة: (**كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشَّر مخافة أن أقع فيه**) فقه في دين الله ﷻ، عرفوا الخير وأبوابه، ثم تفقهوا في الشَّر ليتجنبوه.

فنحن أحوج ما نكون للفقه في دين الله ﷻ.

الشَّيطان استهوىٰ كثير من النَّاس حقيقة في هذا الباب وانصرف بهم عن الفقه في دين الله ﷻ في كثير من الأمور، لا يُطالَبون بها، نحن لا ننكر الدَّعوة إلىٰ الله ﷻ لا شكَّ أنَّ العبد مطالب أن يدعو إلىٰ الله ﷻ، مطالب أن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر؛ لكن قبل هذا يحقِّق النَّجاة لنفسه، كيف يدعو وكيف يأمر بمعروف وكيف يردُّ علىٰ مخالف إن لم يعلم هو؟! وإذا علم ولم يعمل؛ كيف يدعو للعلم وهو لا يعمل به؟! أبدًا، الدَّعوة ملازمة تمامًا للعمل وطاعة الله ﷻ، ولهذا أئمة أهل السُّنة الذين يردون علىٰ أهل البدع والذين اشتغلوا بالدَّعوة ونالوا ما نالوا من الفضل هم أئمة العُبَّاد والزُّهاد وأئمة النَّاس في الورع وحفظ ألسنتهم عن المحرم.

ونحن نجد التَّناقض اليوم في أحوالنا، تناقض عظيم، تجد شخص من أقوىٰ النَّاس في الرَّد علىٰ المخالف وإذا نظرت إليه تجده مقصر في الواجبات، هذا تناقض ويخشىٰ والله علىٰ من هذه حاله أن

يُخذل وأن يختم له بسوء.

ينبغي أن يعرف العبد أولا موقعه وما الذي يحسن، هذا بعد أن يحقِّق الواجبات، ثم بعد ذلك يأتي علىٰ ما يحسن من الأعمال التي تنتفع بها الأمة، فالأمة لا يمكن أن تشتغل بعمل واحد، لا يمكن للأمة أن تشتغل بالدعوة وتترك الأمور الأخرىٰ، ولا يمكن للأمة أن تشتغل بالطب أو الهندسة وتترك الأمور الأخرىٰ، ولا يمكن للأمة أن تشتغل بالجهاد وتترك الأمور الأخرىٰ، ولهذا لما جاء النَّبيَّ ﷺ من جاءه وسأله: يا رسول الله؛ دلَّني علىٰ أفضل الأعمال، فقال لبعضهم: الصَّلاة في أول وقتها، وقال لآخر: الجهاد في سبيل الله، وقال لآخر: برُّ الوالدين، قال العلماء: أجاب الرَّسول ﷺ كل رجل بما يحسن وبما يجب عليه؛ ولهذا لما جاءه الغلام قال: يا رسول الله؛ ائذن لي في الجهاد، قال له الرَّسول ﷺ: «**أحيٌّ والداك؟**» قال: نعم، قال: «**ففيهما فجاهد**»، فانظروا إلىٰ هذا الجهاد وما فيه من الخير والفضل، والرَّسول ﷺ أحرص الأمة علىٰ الأمة، لو كان يعلم أنَّ في جهاد هذا الغلام الذي جاءه خير له هل يصرفه الرَّسول ﷺ عن عمل فاضل إلىٰ عمل أقلّ منه؟!

لا يمكن، لكن هناك واجبات، ليس من دين الله عزوجل أن أصلح النَّاس وأنا مقصِّر وأن أشتغل بدعوة النَّاس وأهلي في حاجة لهذه الدعوة، وأن أتوسَّع في النَّوافل في باب العلم والعمل وأنا لم أحقِّق الواجبات.

إذًا نحن حقيقة يحتاج لنا أن نقف وقفة صدق مع أنفسنا و نحقِّق عبادة الله عزوجل بما شرع النَّبيُّ ﷺ، وهذا الكلام كله يدخل تحت باب ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ العمل الصَّالح هو ما جاء به النَّبيُّ ﷺ ورسول الله ﷺ كان مثالًا يمشي علىٰ الأرض لدين الله عزوجل، وقد قالت عائشة رضي الله عنها عندما سُئلت عن خلق الرَّسول ﷺ قالت: (**كان خلقه القرآن**)، ومن تأمَّل سيرة النَّبيِّ ﷺ وقارن بين حالنا وحال النَّبيِّ ﷺ علم والله تفريطنا؛ فالرَّسول ﷺ كان أقوىٰ النَّاس وأقوىٰ الأمة وأخشاها لله عزوجل في دين الله عزوجل، ومع هذا كان أحسن النَّاس خلقًا، ونحن اليوم إذا استقام الشَّاب كان من أشد النَّاس علىٰ غيره: شدَّة في الكلام وغلظة وتنفير للنَّاس، هل هذا كان من هدي النَّبيِّ ﷺ؟ يأخذون طرفًا من الدَّعوة وهو الهجر ويغفلون جانب آخر وهو التَّأليف؟ كثير من النَّاس اليوم في دعوة المخالف لا يعرف في دعوتهم إلا هذا المنهج وهو الهجر والشِّدة والغلظة، والنَّبيّ ﷺ كما يقول شيخ الإسلام: كان يهجر أقوامًا ويتألَّف آخرين،

وليس هناك منهج ثابت في عصر أو لشخص أو لمدعو أن يلتزم منهج الهجر أو التأليف، وإنما هذا يختلف باختلاف النَّاس؛ فإن النَّاس يختلفون، منهم من ينفع معه الهجر ومنهم من يصلحه التَّأليف، والمقصود هو الرُّجوع بهذا المخالف لدين الله عَزَّوَجَلَّ، ليس المقصود هجره ولا المقصود تألُّفه، ما الهجر ولا التَّأليف إلا وسيلة للرجوع بهذا المخالف للسنة.

إذا رأينا رجلا يغلب عليه الرِّياسة والفضل وحوله أتباع فهذا ليس من الحكمة أن نهجره؛ لأنه لا بهجره المقصود الشَّرعي الذي بيَّنه الله عَزَّوَجَلَّ في هجر النَّبيّ ﷺ لكعب بن مالك وصاحبيه وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، فهذا لا يحصل؛ لأنَّ هذا حوله أنصار وأتباع، فالذي يجدي مع مثل هذا التَّأليف.

فالمقصود أنه ليس هناك منهج ثابت، ثم إنَّ النَّاس يتفاوتون فهناك من النَّاس من لا يستطيع أن يحقِّق التَّأليف هو في نفسه لعجزه، وهناك من النَّاس من لا يستطيع أن يحقِّق الهجر لضعف في نفسه، وخير النَّاس من كان علىٰ هدي النَّبيِّ ﷺ، يعامل النَّاس بما كان النَّبيُّ ﷺ يعامل به من يدعوه، فيهجر أحيانًا ويتألف أحيانًا، ويشتد أحيانًا ويلين أحيانًا، وهذا كله يسير فيه العبد بفقه. بفقه أولًا بالمسائل المخالف فيها، وفقه بحال المدعو، وفقه بالعصر الذي يعيش فيه؛ فليس من الحكمة أن تهجر شخصًا في مجتمع يكثر فيه أهل البدع، فتهجره وتتركه لألف مبتدع يتلقَّفه ويغويه، وإنما يكون الهجر إذا وجد العصر الذي كان في عصر النَّبيِّ ﷺ، عزَّة الإسلام، وكما كان في بعض العصور المتقدِّمة عندما هجر سلف الأمة من هجروا فأثَّر هٰذا الهجر، أما في هذه العصور فأقرب النَّاس إليك ابنك لو هجرته وجدت من يؤويه ويفسده عليك، أنا لا أقول بإهمال هذا الجانب لكنَّ المقصود أن نقف عند كثير من الأعمال ومن الوسائل التي نستخدمها في الدَّعوة وغيرها وقفة نميز بين الأمور، وننظر في هدي النَّبيِّ ﷺ، فالنَّبيُّ ﷺ كان يخاطب بعض الكفار: يخاطب هرقل يقول: إلىٰ هرقل عظيم الرُّوم، ويكنِّي عبد الله بن أبيٍّ يقول: أبو الحبَّار وهو زعيم المنافقين، في حين أنَّه كان يهجر كعب بن مالك، هجر عمار بن ياسر، هجر زوجاته شهرًا، فليس المقصود بالهجر بقرب الشَّخص وبعده عن الدِّين؛ بل إنَّه قد يهجر الرَّجل الفاضل الذي يعرف مكانة الشَّخص في الدِّين.

ثم إن الهجر يختلف باختلاف من يحقِّق هذا الهجر، وهناك أئمة كبار، لو هجر إمام من الأئمة الكبار رجلا من النَّاس فإنه يؤثر فيه الهجر، وقد لا يؤثر إذا كان من شخص عامي من عوام النَّاس؛ لأنه إذا هجره لا يحقِّق شيئًا، وإنما إذا هجر الإمام الأعظم وهجر العالم الكبير أو إمام المسجد، أو هجر الرَّجل ابنه أو زوجته فإن هذا يؤثِّر، أما أن تهجر رجلًا من النَّاس لا تعرفه ولا يعرفك وتقول: أنا أقسم ألاَّ أكلِّمك، كما يحصل من بعض الشَّباب هذا ليس من الدِّين، إذا هجرته لن يؤثِّر فيه، وهجره ليس مقصود إنما هو وسيلة للرجوع به.

إذًا هذا ما يتعلَّق بالدَّعوة لدين الله ﷻ، والتَّدرج في عبادة الله ﷻ.

الجانب الآخر -وهذا أيضًا قد يتصل بالموضوع- التَّعامل مع المخالفين، يعني التَّعامل مع الخلق، الله ﷻ ما تعبدنا والله بأذية أحد من الخلق لا بقول ولا بفعل، وإنما أمر الله ﷻ بالإحسان للخلق والرَّحمة بهم، ومن رحمة الله ﷻ بخلقه أن شرَّع لأنبيائه وشرَّع لأهل العلم دعوة النَّاس إلىٰ دين الله ﷻ.

إذًا أصل الدعوة رحمة، ينبغي أن نعرف -أيها الإخوة- أنَّ أصل الدَّعوة لدين الله ﷻ رحمة ليست عقوبة ننزلها بالمخالفين، فالإنسان يدعو أحبَّ النَّاس إليه، ونحن اليوم عندما ندعو المخالفين ونغض الطَّرف عن أخطائنا يعني ما ندري ما نسمي هذا الأمر! هل الدَّعوة والرَّد علىٰ المخالف هي عقوبة ننزلها بالنَّاس؟! هي رحمة والله، وإن من أعظم البرِّ أن تناصح الشَّخص، ونحن نغفل عن هذا الجانب، وأنت إذا نصحت أخًا لك في المنهج وفي العقيدة ظنَّ النَّاس أنك عدو لهذا المنهج ولهذه العقيدة، وأنَّ من سمات هذا المنهج الشِّدة علىٰ المخالفين، وأن نغضَّ الطَّرف عن أخطائنا.

فإذًا المقصود أن الله ﷻ تعبدنا برحمة الخلق وسلامة الصَّدر لهم كما كان النَّبيُّ ﷺ حريصًا علىٰ هداية الخلق، هٰذا الحرص أيها الإخوة يتمثَّل في سيرة النَّبيِّ ﷺ في دعوته الخلق والصَّبر عليهم وتحمل المشاق وفي دعائه لهم، حتىٰ إنَّه عندما نُهي عن الصَّلاة علىٰ المنافقين وأنزل الله ﷻ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[التوبة:٨٠] ماذا قال الرَّسول ﷺ قال: «**والله لأزيدنَّ علىٰ السبعين**» سبحان الله! هذا الحرص فيمن؟ في عبد الله بن أبيٍّ وأمثاله الذين كانوا يؤذون النَّبيَّ ﷺ، فهل

نحقِّق نحن هذا الحرص في هداية الخلق أم أننا نفرح بأخطاء المخالفين ونطير بها؟ إنَّ من يفرح بأخطاء المخالفين والله يخشىٰ عليه؛ بل إنَّه فعلًا هو ممن يحبون أن تشيع الفاحشة في المؤمنين.

نحن والله لا نفرح بالشِّرك عندما يصدر من اليهود والنَّصارىٰ؛ بل إننا نحزن، وننظر للخلق كلهم نظرة شفقة ونسأل الله ﷻ أن يُدخل من أراد الله ﷻ أن يدخله في رحمته، فكيف بالمسلمين المخالفين لنا وإن كانوا من أهل البدع، شدة السلف علىٰ أهل البدع وكلامهم فيهم هذا كله للتَّنفير من أهل البدع؛ لكن هذا لا يعني أن نترك أهل البدع في معزل، وأن نظنَّ أنهم من أعدىٰ أعداء دين الله ﷻ، هم مسلمون يتعبَّدون الله ﷻ، الله ﷻ يتولَّىٰ السَّرائر؛ لكن عامتهم يتعبَّدون الله ﷻ؛ لكنهم يخطئون في دين الله ﷻ، فكثير من أهل البدع ما حملهم علىٰ ما حملهم عليه من البدع إلَّا التَّقرُّب إلىٰ الله ﷻ؛ ولذا قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما قيل له عن الخوارج، قيل له: هل تكفِّرهم؟ -وهم الذين قال النَّبيُّ ﷺ فيهم: «**يمرقون من الدِّين مروق السَّهم من الرَّمية**»- قيل له: هل تكفِّرهم؟ قال: لا، فقيل له: فما تقول فيهم؟ قيل له: هل هم منافقون؟ قال:لا، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا، وهؤلاء يذكرون الله، قالوا: فما هم؟ فأخبر عليٌّ رضي الله عنه قال: (إنهم منَّا)، وقال: (من الكفر فرُّوا).

علي رضي الله عنه الذي يقاتلهم، وهم أشدُّ النَّاس عداءً لعلي رضي الله عنه ، يكفِّرونه، يقف معهم يقول: (من الكفر فرُّوا)، ولم يكفِّرهم رضي الله عنه.

وذكر شيخ الإسلام أنَّ عامة أصحاب النَّبيِّ ﷺ لم يكفِّروا الخوارج، فعامة المبتدعة ينبغي أن نُشفق عليهم وأن نرحمهم، ومن رحمتنا بهم أن ندعوهم لدين الله ﷻ، أن نتلطَّف بهم ونحسن إليهم.

واعلموا -أيها الإخوة- أنَّه والله ما يتقرَّب أحد إلىٰ الله ﷻ بعد توحيد الله ﷻ بأفضل ما يتقرَّب إليه بسلامة الصَّدر للمسلمين، سلامة الصَّدر للمسلمين، والعفو عنهم، الحرص علىٰ هدايتهم، الدُّعاء لهم، التَّقرب إلىٰ الله ﷻ أن يهديهم لدين الله ﷻ، لا يفرح بأخطائهم، لا ينشر أخطاءهم في الأمة، هذا هو دين الله ﷻ الذي تعبَّدنا به، ولهذا التَّعامل مع المخالفين ينقسم إلىٰ قسمين:

١- تعامل في الظَّاهر.

٢- تعامل في الباطن.

والتَّعامل في الباطن هو سلامة الصَّدر للمسلمين، وهو من أعظم الأعمال التي كان عليها سلف الأمة وأصحاب النَّبيِّ ﷺ، الحرص علىٰ هداية الخلق، حب الخير للنَّاس، ولذا قال النَّبيُّ ﷺ عندما قال في الرَّجل، قال لأصحابه: «**يدخل عليكم رجل من أهل الجنة**»، فذهب بعض أصحاب النَّبيِّ ﷺ فراقب هذا الرَّجل وبات عنده ثلاثًا يرقُب عمله، ثم لم يرَ عنده كبير عمل، فقال له وقد جاءه بعذر، قال له: إنَّه كان بيني وبين أبي شيء فأتيت عندك أريد أن أبيت عندك، ثم قال له: والله ما كان بيني وبين أبي شيء، لكن الرَّسول ﷺ قال ما قال ودخلت أنت، قال: «**يدخل عليكم رجل من أهل الجنة**» فدخلتَ أنت ثلاثًا، وما رأيتك علىٰ كبير عمل-أو كما قال-، فقال له: هو ما رأيت. ثم لما أراد أن ينصرف قال له: أنا لا أذكر شيئًا إلا أنِّي لا أبيت ليلةً وفي قلبي غلٌّ علىٰ مسلم، أو ضغينة. يقول: فعرفتُ أنَّه ما بلغ به ما بلغ إلاَّ سلامة الصَّدر للمسلمين.

فهٰذا عمل باطني لا يعلمه إلا الله.

ومن أراد النجاة لنفسه فليوطن نفسه علىٰ أمور:

١- إحسان الظَّن بالمسلمين.

٢- أن يجاهد الإنسان نفسه، دائمًا يدعو للمسلمين بالسر، حكّامًا ومحكومين، حتىٰ وإن كانوا من أهل البدع، ومن أشدِّ النَّاس في البدع، لأن الدُّعاء لهم – ما داموا مسلمين- يجوز، بل إنَّ الدُّعاء بالهداية يجوز للمسلم والكافر، ولذا قال النَّبيُّ ﷺ: «**اللَّهمَّ اهدِ دوسًا**» فالهداية يجوز، فما الذي يصرف المسلمين اليوم عن الدُّعاء للمخالفين لهم وإن كانوا من أهل البدع؟ وإن كان يرىٰ كفرهم أن يدعو لهم بالهداية؟

فإن هذا من أعظم ما يُتقرَّب به إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ.

ثم الجانب الآخر وهو الأعمال الظاهرة في التَّعامل مع المخالفين هو: مخالطتهم والرِّفق بهم، وحسن الخلق، وهذا باب عظيم أيضًا، ولذا يقول النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّ الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصَّائم القائم**» لما في حسن الخلق والبشاشة في وجوه المسلمين والرِّفق بهم من الأثر العظيم في الدَّعوة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وجمع النَّاس علىٰ الكلمة، ولو استقمنا علىٰ دين الله عَزَّوَجَلَّ لكنَّا دعاة بأعمالنا قبل أن نكون دعاة بألسنتنا، النَّاس تشبَّعوا اليوم من الكلام والمحاضرات والخطب، يريدون عملا، إذا رأوا شخصًا

مستقيمًا علىٰ طاعة الله رفيقًا بالمسلمين يحسن الظنَّ بهم يدعو لهم أحسنوا الظنَّ به وقبلوا منه، وهذا الذي نستفيده اليوم، ونحن عندنا أمثلة من علمائنا الذين حصل لهم ما حصل من الخير والفضل، إنما بلغوا ما بلغوا في الأمة بهذه الأمور، فمن أراد أن يكون خلفًا لهؤلاء العلماء، أن يكون إمامًا في الخير أن يسلك هذا الطَّريق، يُحقِّق هذه المقاصد العظيمة: سلامة الصَّدر للمسلمين، حسن الخلق. هذا هو الأصل، والهجر أمر طارئ، قد يحصل أحيانًا؛ لكن الأصل هو البشاشة، العفو عن المسلمين، حسن الظنِّ بهم.

الرَّسول ﷺ أُوذي في دين الله ﷻ لم يؤذَ في نفسه، وعفا عن قريش وقال: «**اذهبوا فأنتم الطُّلقاء**»، أئمة أهل السنة: الإمام أحمد عُذِّب في أي شيء؟ عذِّب في أعظم مسألة وهي القول بخلق القرآن الذي هو كفر، لا يشك أحدٌ من سلف الأمة علىٰ أنَّ من قال بخلق القرآن أنَّه كافر، لكنه لم يُكفِّر المأمون لأنَّه لم تقم عليه الحجة، وكان عنده من الشُّبه التي تمنع من الحكم عليه بالكفر، عندما حصل له ما حصل من العذاب والسجن والتشريد، وما حصل من تأليب العلماء عفا عنه وقال: أعفو عنهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ.

وشيخ الإسلام ابن تيمية وهو من هو، حصل له ما حصل من الأذية، وأغرىٰ العلماء به - علماء السُّوء من أهل البدع- الحُكَّام، حتىٰ لما نصره الله عليه نصرًا مؤزَّرًا طلب منه بعض الحُكَّام أن يُصدر فتوىٰ بقتل هؤلاء فأبىٰ، وقال: إن قتلتموهم فمن يبقىٰ للنَّاس؟ وهم من أهل البدع! انظروا إلىٰ هذا الفقه أيها الإخوة، انظروا في سيرة السَّلف، سيرة النَّبيِّ ﷺ ونسير علىٰ خطىٰ ثابتة.

ونعلم أنَّ النَّاس اليوم، ليس كل-والله- من أراد الخير يُوفق إليه، النَّاس يتفاوتون في العلم والعمل، وهذه أمور نحن لا نأتي بشيء، هذه سنة النَّبي ﷺ، هذا كتاب الله ﷻ، انظروا تفقهوا في دين الله ﷻ، ثم بعد ذلك يسير المسلم علىٰ خطىٰ ثابتة، ولا نتعجل الأمور، نَقول: أنا متىٰ أدعو؟ أنت إذا سرت بنية صالحة، أولًا حقَّقت في نفسك العلم الصالَّح والعلم الشَّرعي الذي تحصل به النَّجاة وأردت أن تبلغ ما بلغ الدُّعاة... اخترمك الموت قبل ذلك.

المؤمن علىٰ نيته الصَّالحة، أما التَّخبط في باب العلم أو في باب العمل والتَّفريط في هذه الأمور فهذا هو سبب- والعياذ بالله- الانتكاسة والارتداد، كما حصل لكثير ممن تسمعون -والعياذ بالله- من

انتكاس شخص يقيم سنين طويلة علىٰ طاعة الله ثم ينتكس، هذا كله من [الانحراف عن] منهج الله ﷻ، وإلا والله ﷻ لا يخذل العبد، ووعده صدق «**لا يزال العبد يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتىٰ أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به**» فإذا خُذل العبد فليعلم أنه مخذول بفعله، وأما الله ﷻ فإنه لا يخذل عبدًا تقرَّب إليه، يقول الله ﷻ: «**من تقرَّب إلي شبرًا تقرَّبت إليه ذراعًا**» فالله ﷻ أسرع تقرُّبًا للعبد، يفرح بتوبة عبده وهو غني عنه، فالله ﷻ غني عن الخلق.

والله لو أنَّ الخلق كلهم كما جاء في الحديث: «**لو أنَّ أولكم وآخركم و إنسكم وجنَّكم كانوا علىٰ اتقىٰ قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، ولو أنَّ أولكم وآخركم و إنسكم وجنَّكم كانوا علىٰ أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص من ملكي شيئًا**» ومع هذا يفرح بتوبة التَّائبين، ونحن المساكين الذين يغرُّنا- والله- أن نفرح بمعصية المخالفين وبانحرافهم أولىٰ أن نفرح بطاعته، وأولىٰ أن نحزن بمخالفتهم؛ لأنَّ فرحنا بمعصية الله ممن صدرت هذا من محبة إشاعة الفاحشة والمعاصي والبدع في الأمة.

ينبغي لنا أن نحزن عندما نسمع مخالفة، وأن نستر هذه المخالفة ما استطعنا، لأنه ليس من دين الله ﷻ أن تنشر أخطاء الناس، مهما كانت، فإذا أخطأ رجل في بلد من البلاد ليس من الدَّعوة أن تنشر خطأه في الأمة، فإنَّ رجوعه قبل أن ينتشر خطؤه في الأمة أقرب إليه بعد أن ينتشر، والنُّفوس مجبولة علىٰ أمور يعلمها الله ﷻ؛ ولذا جاء التَّشريع موافقًا لهذا الأمر، فينبغي للمسلم أن يستر علىٰ أخيه، وهذا له أثر عظيم في رجوعه قبل أن ينتشر خطؤه، أما إذا انتشر الخطأ فيكون الرُّجوع صعب، وقد يكابر وقد يجادل.

فينبغي أولًا أن نحقَّق ما أراد الله ﷻ منَّا من الحكمة العظيمة التي خُلقنا من أجلها، ثم بعد ذلك نسير علىٰ وفق ما أراد الله ﷻ متجرِّدين في باب العلم والعمل في طاعة الله ﷻ، مستحضرين دائمًا الإخلاص والمتابعة للنبيِّ ﷺ، نستعين قبل ذلك وبعده بالله ﷻ، ونتضرع إلىٰ الله ﷻ أن يوفقنا لأحسن الأعمال وأحسن الأقوال، وأن يرزقنا الإخلاص، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ علَّم معاذ الذي قال له: «**إنِّي أحبك**» قال له: «**يا معاذ لا تدعن أن تقول دبر كل صلاة: اللَّهمَّ أعنِّي علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**» فنحن أولىٰ النَّاس نسأل الله أن يعيننا علىٰ ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يهدينا لأحسن الأعمال وأحسن الأقوال؛ فمن تضرع لله ﷻ بالدُّعاء والإخلاص، وتعلَّم وتفقَّه في دين الله ﷻ فإن

الله ﷻ سيبلغه -إن شاء الله- النَّجاة، لأنه هو مقصدنا، مقصد الإنسان أولًا النَّجاة لنفسه، فإذا تحقَّق عنده أو غلب علىٰ ظنه ذلك فإنه يتجرَّد في هداية الخلق.

هذا وأسأل الله العلي العظيم أن يهدينا وإياكم لأحسن الأعمال والأقوال وأن يرزقنا وإياكم الإخلاص في كل ما نقول وفي كل أفعالنا؛ إنَّه سميع مجيب وبالإجابة جدير، وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ نبينا محمد.

[الأسئلة]

سؤال (): هل هناك فرق بين الرَّد علىٰ أهل البدع والنَّظر في كتبهم وبين قراءة كتب علماء السنة في التَّحذير من بعض كتب المخالفة للإسلام والتي يظن كثير أنها حق، فلربما عملوا بما فيها ؟

الجواب: الحمد لله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله.

أولًا النَّظر في كتب المبتدعة هذا لا يجوز؛ لأنَّ المبتدع لا يقرِّر إلا ما عنده من البدع، وإن كان فيها شيء من الحق فإنَّه لا ينبغي للطُّلاب المبتدئين النَّظر في هذه الكتب، وإنما ينظر في هذه الكتب العلماء أهل الرُّسوخ في العلم الذين يظنون في أنفسهم المقدرة في الرَّد عليهم، ومن هذا الباب كان سلف الأمة وعلماؤها الكبار يتوقفون عند هذا الباب، ومن قرأ مقدمة الاعتصام للشاطبي ذكر الشاطبي- وهو من هو- في بداية كتابه تردُّده بين تأليف الكتاب من عدمه قال: لأنه لا يكون الرَّد إلا متمكن، ولهذا أحجمت عن تأليف مثل هذا الكتاب! فإذا كان مثل الشاطبي يتردَّد فكيف بنا نحن؟!

ومن الأمور المضحكة المبكية فعلًا أنه يأتي شباب صغار يتردَّدون علىٰ المشايخ كل يوم، يقول: أنا أريد أن أردَّ علىٰ فلان؛ لكن كيف أرد عليه هل أشتد في ردي أم ألزم اللين والرفق؟ يعني سبحان الله! هذه من الأمور العجيبة! أولًا: هو إما أن يكون عالمًا أو لا يكون، فإن كان عالمًا فهو أدرىٰ بمنهجه في الرَّد، و إذا كان هو لا يعلم الأسلوب الذي يتعامل به مع المخالف فكيف يأتي يتصدر للرَّد عليهم؟! هذه أمور خطيرة جدًّا، وقد كان الإمام مالك ينهىٰ عن الرَّد علىٰ أهل البدع، يقول: أخشىٰ أن يرد عليهم من لا يتمكن من الرَّد، فيظهرون عليه فيكون ذلك نصرة للبدعة.

هٰذا ليس لكل العلماء الرَّد، ليس لكل العلماء الرَّد، فكيف بغير العلماء؟! ومن ظنَّ في نفسه وهو من طلاب العلم أنَّه قادر علىٰ الرَّد هذه مشكلة خطيرة وغرور -والعياذ بالله-، ويخشىٰ علىٰ صاحبه، لكن

من رأىٰ شيئًا من البدع ورأىٰ أنها خفيت علىٰ بعض النَّاس وعلىٰ بعض العلماء يأتي بالكتاب ويسلمه لأهل العلم والفضل ويكون قد نصح لله ﷻ ولدينه في هذا الفعل، أما هو ليس من أهل هذا الشأن.

أما القراءة في كتب أهل السُّنة التي ترد علىٰ المخالفين فأنا لا أنصح طلاب العلم المبتدئين بالاشتغال بها؛ لأنهم في حاجة إلىٰ ما هو أهم من العلم، يتعلمون الواجبات وكيف يعبدون الله ﷻ، ويتعلمون الأذكار التي تنفعهم يستفيدون منها، ويتعلمون كيف يعبدون الله ﷻ، ويقرؤون من الأحاديث في الرقائق وفي غيرها ما تلين به قلوبهم وتبقىٰ علىٰ طاعة الله ﷻ؛ فإن القلب قد يفتر، فإذا كان الشخص علىٰ مراقبة ويحيي قلبه دائمًا بذكر الله وكل إنسان يعرف نفسه، ولهذا يقول ابن مسعود: (من فقه المرء أن يعلم أيزداد إيمانه أم ينقص، وأن يعلم نزغات الشيطان أنَّىٰ تأتيه).

فقراءة هؤلاء الطُّلاب المبتدئين في كتب أهل العلم في الرَّد علىٰ المخالفين لا ينصح باشتغالهم بها، وإنما يقرؤون في الكتب المفيدة: يقرأ كتاب الله ﷻ وتفسيره، يقرأ الصَّحيح من سنة النَّبيِّ ﷺ في البخاري، في مسلم، يقرأ في الكتب التي شرحت الأحاديث والتي فيها فقه في عبادة الله ﷻ مثل: «جامع العلوم» لابن رجب وكتب ابن رجب وكتب ابن القيم وشيخ الإسلام في هذا الباب

سؤال (): هل يستطيع أن يجمع المسلم بين سلامة الصَّدر للمخالف وبين بيان خطئه والتَّحذير منه، وهل هناك تعارض بين حسن الخلق والرَّد علىٰ المبتدعة والمخالفين وبيان الحق خاصة ممن ينشر هذه البدع والمخالفات ؟

الجواب: هو من سلامة الصَّدر الرَّد علىٰ المخالف إذا حسنت النِّية، فأنت عندما ترىٰ شخص مخالف تنصحه هذا من أعظم البر به لأنه يسير في طريق النَّار -والعياذ بالله-، أنت تنقذه، ولو أن رجلًا اليوم في الدُّنيا يسير في طريق، في نهاية هذا الطَّريق حفرة عظيمة مليئة بالنَّار وجاءه شخص وقال له: هذا الطَّريق سيوصل إلىٰ النَّار، ارجع عنه، واشتد عليه في الكلام، فهل يُعد هذا الرَّجل إلا ناصحًا لمن يسير في هٰذا الطريق؟ هذا من أعظم النُّصح فكيف بنار الآخرة؟! الرَّجل يسير فيها وهو لا يعلم -والعياذ بالله- من أهل البدع وغيرهم، فيأتي من ينقذه ويبين له، هٰذا إذا حسنت النِّية، إذا كان الرَّد إنما صدر يريد به النُّصح للمسلمين، فهذا من أعظم البرِّ ومن أعظم سلامة الصَّدر، لكن ينبغي أن يكون علىٰ المنهج الصحيح، يكون الرَّد علىٰ المنهج الصَّحيح، وهٰذا لا يتنافىٰ مع حسن الخلق مع سلامة الصَّدر كما أنَّ

الهجر في بعض المواطن لا يتنافىٰ مع حسن الخلق، فالرَّسول ﷺ كان أعظم النَّاس خلقًا ومع هذا كان يهجر بعض أصحابه، فالهجر طارئ للرُّجوع بهذا المخالف إلىٰ السُّنة، فإذا رجع رجع إلىٰ أصل التَّعامل من الحسن؛ حسن الخلق، ثمَّ إنَّ بعض العلماء قال: ممكن للرَّجل أن يجمع بين الهجر والدُّعاء للمهجور، وهذا هو الأصل، ومن أعظم النُّصح للمسلمين أن تهجره في الظّاهر وتشتد عليه وتدعو له بالباطن.

سؤال (): هل المقصود من الهجر هو فقط أن يكون وسيلة إلىٰ رجوع المخالف للحق أم أن المقصود أيضًا هو بيان أن ما عليه ليس من الشَّرع لئلا يقع النَّاس فيه ؟

الجواب: الهجر له مقاصد كثيرة: فقد يكون الهجر حماية للشخص نفسه أن يتضرر كأن يكون طالب علم مبتدئ فيجب عليه وجوبًا بدون تفصيل ألاَّ يجلس مع مبتدع يتضرر به، فهذا الهجر في حقه ليس لمصلحة المبتدع وإنما لمصلحته هو أن يتضرر في نفسه، وكذلك الجلوس مع أهل الشَّر فهذا حماية للشخص نفسه.

ثم هناك مقصد آخر هو الرُّجوع بالمخالف، فقد يكون عالمًا لا يخشىٰ علىٰ نفسه أن يتضرر بالجلوس مع المبتدع، لكنه يهجره حتىٰ يتأدّب، فهذا مقصد، فقد يكون الهجر لمصلحة الشَّخص الهاجر، وقد يكون لمصلحة المهجور.

وقد تكون مصالح أخرىٰ وهو تنفير النَّاس من البدع، مثل: هجر أصحاب المعاصي لا يصلىٰ عليهم، فهذا الميت مات وما يعلم أنت صليت عليه أم لم تصلِّ، لكن فيه زجر لمن كان علىٰ مثل فعله أن ينزجر، كما ترك النَّبيُّ ﷺ الصَّلاة علىٰ صاحب الدَّين وهو مسلم، الرَّسول ﷺ من أحرص النَّاس علىٰ الأمة، لكن هٰذا فيه زجر حتىٰ لا يتساهل النَّاس في الدَّين، وترك الرَّسول ﷺ الصَّلاة علىٰ من غلَّ من الغنيمة وهو مسلم، والدُّعاء له يجوز؛ لكنه يتركه في الظَّاهر حتىٰ ينزجر النَّاس عن هذا الفعل، وكذلك العلماء والأئمة الكبار يتركون الصَّلاة من باب الهجر علىٰ بعض المخالفين؛ لكن لا تُجمِع الأمة علىٰ ترك الصَّلاة، بل لابد في الأمة من يصلي؛ لأنَّ الصَّلاة واجبة، الصَّلاة علىٰ الميت واجبة فلا بد أن يصلي عليه بعض الأمة . عمومًا المسألة فيها تفصيل .

سؤال (): في هٰذه الأيام جماعات لها مذهب منحرف، فإذا أراد الإنسان أن ينصح لهم أو يتعامل معهم يشترطون عليه عدم النَّصيحة.. ويدَّعون أنَّ هذه النَّصيحة تُفرِّق بين كلمة جماعتهم، ويعادون من ينصح لهم، فهل يجوز التَّعامل معهم أم يُهجرون؟

الجواب: هذا بحسب ما ذكرنا.

أولًا: التَّعامل معهم في أي شيء؟ إذا كان التَّعامل معهم في عمل من الأعمال ويتعلَّق به واجب من الواجبات فلا يترك واجب، مع الحذر مما هم عليه من الابتداع.

وأما إذا كان مخالطتهم والجلوس معهم والسَّفر معهم كما يحصل من بعض الجماعات المنحرفة وما يسمونه بالدعوة وهم من أجهل النَّاس، هذا لا يجوز أحد أن يخرج معهم مطلقًا إلا لعالم يخرج معهم أو يجلس معهم لمناصحتهم، أما المبتدئون فلا يجلسون معهم، وهم ليسوا من أهل النُّصح لهم، وإنما ينجون بأنفسهم، هذا الواجب عليه، أن ينجو بنفسه، وأما مناصحتهم والجلوس معهم فهو لأهل العلم الذين يستطيعون أن يفيدوهم، أما هو فلا يستطيع أن يفيدهم، بل يتضرر بهم.

سؤال (): ما قول فضيلة الشيخ في صفة الهرولة لله عَزَّوَجَلَّ؟

الجواب: ينبغي أن يُعرف المنهج الصَّحيح في باب الأسماء والصِّفات، فإنَّ السُّؤال عن الكيفية من البدع، والسَّلامة في هذا الباب هو أن نُثبت ما أثبته الله لنفسه في هذا الباب دون الخوض.

وهذا الحديث ورد في معرض أنَّ العبد إذا تقرَّب إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ: «**من أتاني يمشي أتيته هرولة**» فنحن نقف أولًا ما هو مقصود الشَّارع بهذا المثل؟ هل المقصود إثبات الهرولة أو المقصود أمر آخر؟ نحن نغفل الحقيقة عن كثير من الأمور، فينبغي لنا أولًا أن ندرك المقصود، والمقصود أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ إذا تقرَّب إليه العبد بطاعة فإنه يتقرَّب إليه بأعظم منها، ومثَّل بمثال: أنَّه من أتىٰ لله عَزَّوَجَلَّ يمشي أتىٰ إليه هرولة، والهرولة أبلغ من المشي ودون الإسراع، وقد تكلَّم العلماء في هذه المسألة وذكروا أن هذه ليست من الصِّفات وإنما هي من باب الإخبار، يخبر الله عَزَّوَجَلَّ عن نفسه.

والمقصود هو كما ذكرت من الحديث، فلا نتجاوز هذه الأمور ونقف عند ما وقف عليه السَّلف، ولا ينبغي سؤال كل شخص عن مثل هذه الأمور، فكلنا ضعاف في هذا الباب -في الحقيقة-، هذا الباب له أئمة، أئمته الكبار، فيُرجع لكلام الأئمة الكبار: كالإمام أحمد والبخاري ومالك، وكتب شيخ الإسلام،

ويُنظر فيها، ولا نتكلَّف الأسئلة الكثيرة عن هذا الباب، بل نتعبَّد الله بمقتضىٰ الأسماء والصِّفات، هذا المقصود، أن نعلم أنَّ الله مطَّلعٌ علينا، رقيب، يسمع نجوانا، يحصي كل شيء من أعمالنا، نحن نتعبَّد الله ﷻ بمقتضىٰ هذا الأمر، ونثبت لله ما أثبته لنفسه دون الخوض في الكيفية والتَّكلُّف في هذا الباب.

سؤال (): ما رأيك فيمن ينكر علىٰ الشباب صلاتهم للتراويح ويقولون أنها زيادة علىٰ سنَّة النَّبيِّ ﷺ، ويأمر بالاقتصار علىٰ القيام فقط، فهل هذا صحيح و ما هو الأفضل؟

الجواب: هذه من المصائب التي ابتليت بها الأمة، وهو أن يتصدَّر بعض النَّاس للفتوىٰ والكلام بدون علم، والمعروف أنَّ من ينكرون علىٰ هؤلاء لاشكَّ أنَّهم مخطئون، خطأ كبيرا، والأمور الاجتهادية سلف الأمة يجتهدون فيها ولا ينكر أحدهم علىٰ الآخر، إذا كانت المسألة اجتهادية؛ فإنَّ العلماء قد يختلفون في المسائل، ويأخذ كلٌّ بقول ولا ينكر أحدهم علىٰ صاحبه، ولا يبدِّعه ولا يخرجه عن السُّنة.

والإنكار في الأمور الاجتهادية هذا من الجهل؛ لأنَّ هذا الذي يفعل ما يفعل يرىٰ أنَّ هذا هو الواجب عليه وهذا الذي يفهمه من النُّصوص، كما أنَّ الآخر يرىٰ ذلك.

وهذه المسألة من المسائل التي تُثار: أنَّ النَّبيَّ ﷺ ما زاد علىٰ ثلاث عشرة ركعة، والذي يطالب النَّاس بالعدد عليه أن يعلم أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يلتزم بكيفية في صلاته، وكان يصلي في الرَّكعة الأولىٰ بالبقرة وآل عمران والنساء والمائدة، خمس أو ست سور في ركعة واحدة، والعمل الذي يوافق السُّنة هو أن يوافقه في العمل والكيفية، أما أن نأخذ العدد ونترك الكيفية هذا مخالفة، هذا أمر.

الأمر الآخر أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يصلي لنفسه، واقتدىٰ به ابن مسعود، والنَّبيُّ ﷺ لا يستطيع أحد أن يقول أنَّه صلَّىٰ للنَّاس بهذه الصَّلاة الطَّويلة، وإنما كان يصلي لنفسه، فليس لأحد أن يطالب الإمام أن يصلي بهذه الصَّلاة الطَّويلة، ولا يلزمه بذلك العدد؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا سُئل عن صلاة اللَّيل قال: «**صلاة اللَّيل مثنىٰ مثنىٰ**» وهذا هو الأصل.

ثم إنَّ عمر رضي الله عنه عندما جمع الصَّحابة علىٰ أُبيٍّ ذكر بعض العلماء أنَّه صلَّىٰ بهم عشرين ركعة، والنَّبيُّ ﷺ قال: «**اقتدوا باللَّذين من بعدي: أبو بكر وعمر**»، وقال: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الرَّاشدين**»، فلا يمكن لعمر أن تخفىٰ عليه هذه المسألة حتىٰ يأتي بعض المعاصرين وينكرون ما عليه عمل الأمة من عصر الصَّحابة إلىٰ اليوم، وأنَّهم يصلون منهم من يزيد علىٰ هذا العدد ومنهم من ينقص.

ثم إنّه لو قلنا بأنَّ الصَّلاة الأولىٰ ألاَّ تزيد هذا يكون في حق من يصلي لنفسه، يصلي صلاة طويلة ويقتصر علىٰ هذا العدد، أما من يصلي بالنَّاس فلابد من التَّخفيف، وهذه الصَّلاة فيها تخفيف للنَّاس، والنَّبيُّ ﷺ قال: «**من قام مع الإمام حتىٰ ينصرف كتب له قيام ليلة**»، وهذه اجتهاد الإمام، الإمام لا تلزمه أنت برأيك، الإمام صلَّىٰ بعشرين ركعة فأنت إن أردت الأجر الذي وعد به النَّبيُّ ﷺ فاقتدِ بالإمام، فإنَّ اجتهاد الإمام يرفع الخلاف، فإذا كان هناك مسألة اختلف فيها العلماء فاجتهد الإمام فاجتهاده يرفع الخلاف وإلاَّ تصبح الأمور فوضىٰ، يصلي الإمام وكل شخص خلفه يرىٰ شيئا، ولا يمكن أن ينتظموا لا في صف ولا فعل، لكنهم يتابعون الإمام كلهم لأنَّ اجتهاده يرفع الخلاف، بل كان بعض السَّلف يصلي خلف الأئمة الذي يرىٰ أنَّ وضوءه غير كامل؛ لاختلاف في مسألة المسح، مسح الرأس أو غيرها، لكنه إمام واجتهد وصلاته في نفسه صحيحة، فكذلك من صلَّىٰ خلفه فصلاته صحيحة.

فكيف بهذه الأمور التي لا ينبغي أن يكون فيها نزاع، إذا اجتهد الإمام فصلَّىٰ بالنَّاس فمن أراد الخير والأجر فليصلِّ خلفه، ولا يمكن للمسلمين في مثل هذه المسائل خصوصًا في الحرمين، يجتمع فيها كبراء الأمة وطلاب العلم ويصلون خلف الأئمة ويتضرعون إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ويجمعهم الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ضلالة!!.

المسلم العاقل لو لم يكن عنده علم يدرك من واقعه أنه لا يمكن لهذه الأمة أن تبقىٰ هذه الفترة الطَّويلة تجتمع علىٰ هذه الضَّلالة لأن إجماعها معصوم، فلا يمكن أن تجتمع، فإذا اجتمعوا علىٰ أمر علمنا أنَّه السُّنة، والنَّبيُّ ﷺ قال: «**من أراد بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة**» وهذه جماعة المسلمين، من هم جماعة المسلمين؟

هم طلاب العلم الذين يؤدُّون هذه الصَّلاة، يُجمعون من كل أقطار بلاد المسلمين، فيهم العلماء والطلبة وأهل العلم والخير الفضل كلهم يصلون، ثم يأتي شباب صغار يقولون: هؤلاء كلهم ضالون ونحن مصيبون.

ينبغي للإنسان أن يعرف قدره، وإن تركه هو فلا ينكر علىٰ غيره.